دراسة تحليلية مقارنة في سورة الأعراف (من الآية ١٨ إلى الآية ٢٣)

الباحث: عباس عبد الرضا قاسم

الملخص:

أن من دواعي التي دفعتنا لاختيار الآيات (١٨-٢٣) المباركات من سورة الأعراف هي خصوصية تلك الآيات وهي ذكر النبي آدم ((عليه السلام)) وخروجه من الجنة، وذلك بعد أكله من الشجرة التي أمر الله سبحانه وتعالى بتركه الأكل منها، وغواية الشيطان له وخروجه من الجنة ففي ذلك معصية لأمر الله سبحانه وتعالى، هذا ما يعرفه من يقرأ تلك الآيات.

لقد خلق الله سبحانه وتعالى آدم (عليه السلام) وجعل في ذريته النبوة، وحاشا لله أن يجعل خليفته في الأرض وهو يقارب المعاصي، أن معصية آدم عليه السلام لم تكن معصية مطلقة وإنما كانت معصية نسبية، أن الشجرة التي أمر الله سبحانه وتعالى آدم (عليه السلام)عدم الاقتراب منها هي نوعان (١) شجرة مادية "الحنطة" وهي أقل شأن من آدم، (٢) شجرة معنوية "الحسد" وهو نوع من الحسد خالج نفس آدم لذريتهم ن بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله وذريته من بعده، يجب علينا نحن أبناء آدم عليه السلام أن تكون حذرين من الشيطان ووساوسه فهو قد وسوس لأبينا من قبل في إقتراف المعصية النسبية.

الكلمات المفتاحية: (الجنة، النبوة ، المعاصي، الشجرة، الوسواس).

A comparative analytical study in Surat Al-A'raf (from verse 18 to verse 23)

Researcher: Abbas Abdel Redha Qasim

Abstract:

One of the reasons that prompted us to choose the blessed verses (18-23) of Surah Al-A'raf is the specificity of those verses, which is the mention of the Prophet Adam (peace be upon him) and his exit from Paradise, after eating from the tree that God Almighty commanded him to refrain from eating from, and the temptation of Satan. And his exit from Paradise is a disobedience to the command of God Almighty. This is what anyone who reads these verses knows.

God Almighty created Adam (peace be upon him) and placed prophethood in his offspring, and God forbid that He should make his successor on earth while he was committing sins. Adam's disobedience, peace be upon him, was not an absolute sin, rather it was a relative sin. The tree that God Almighty commanded Adam (peace be

upon him) Peace be upon you) and not approaching it. There are two types: (1) a physical tree, “wheat,” which is lower in status than Adam, (2) a moral tree, “envy,” which is a type of envy that entered Adam’s soul for their descendants, after the Prophet Muhammad, may God’s prayers and peace be upon him and his family, and his descendants after him. We, the children of Adam, peace be upon him, must be wary of Satan and his whisperings, as he whispered to our father before about committing a relative sin.

Keywords: (Paradise, prophecy, sins, tree, obsession).

المقدمة :

أن من دواعي التي دفعتنا لاختيار الآيات (١٨-٢٣) المباركات من سورة الأعراف هي خصوصية تلك الآيات وهي ذكر النبي آدم ((عليه السلام)) وخروجه من الجنة، وذلك بعد أكله من الشجرة التي أمر الله سبحانه وتعالى بتركه الأكل منها، وغواية الشيطان له وخروجه من الجنة ففي ذلك معصية لأمر الله سبحانه وتعالى، هذا ما يعرفه من يقرأ تلك الآيات، فكان لزاماً علينا توضيح ذلك وماهية ذلك العصيان وهل يجعل الله خليفة له يرتكب المعاصي فضلاً عن كونه أبو البشر، وهذا ما يتضح من خلال البحث أن شاء الله.

من أهم المصادر التي اعتمدت عليها البحث هي : القرآن الكريم، تفسير الطبري، تفسير الزمخشري، تفسير الطبرسي، تفسير الميزان، تفسير ناصر مكارم الشيرازي "الأمثل"، البغوي "معالم التنزيل" كتاب الجدول في أعراب القرآن، كتاب مفردات ألفاظ القرآن "الأصفهاني" موجز علوم القرآن، الدكتور داوود الصفار.

لا شك أن البحث في هذا المجال فيه الكثير من الصعوبات الجمة التي تصادف الباحث في تفسير القرآن، لأنه كلام رب العزة جل وعلا فكيف يكون لنا نحن البشر الخطاؤون أن نلم بجميع مفردات ألفاظ القرآن الكريم من أعراب وفهم وتفسير الألفاظ ومناسبة تلك الألفاظ مع بعضها إلا أنه بعد الأتكال على الله وببركات أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين هم عدل القرآن، وعندهم نزلت تلك الآيات، وما تركوه لنا من تفسير وتأويل القرآن الكريم، وعلمهم المتوارث، كان له الأثر الكبيرة في الوقوف على فهم الآيات المباركات من سورة الأعراف، وتفسير العلماء الأجلاء الذين كان لهم جهداً في تفسير الآيات والسور القرآنية المباركة، وكانت استفادتنا جداً عظيمة منهم في ذلك المجال، ومعرفة ما كان غامضاً لدينا من كون آدم (عليه السلام) في الجنة وكيف الله أخرجه من الجنة بعد معصيته لأمره وغيرها من المعاني الأخرى.

لقد اشتمل البحث على المواضيع الآتية وهي :

أ- التمهيد : وذكرنا فيه منهاج المفسرين في تفسير الآيات المباركات.

ب- المبحث الأول : وذكرنا فيه "سورة الأعراف بين المفسرين وعلوم القرآن".

التحليل اللغوي للألفاظ.

والإعراب.

والوجوه البلاغة.

ج- المبحث الثاني وذكرنا فيه "سورة الأعراف بين المفسرين وعلوم القرآن".

مصادر المكي والمدني.

والمعنى العام للآيات المطلوبة.

د- الخاتمة .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَيَا آدم اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ { ١٩} فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ { ٢٠} وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ { ٢١} فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ { ٢٢} قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ { ٢٣}.

صدق الله العلي العظيم

[سورة الأعراف]

التمهيد

منهاج المفسرين في تفاسيرهم

١- منهج الطبرسي :-

سورة الأعراف وهي مكية، غير قوله ((وسئلهم عن القرية)) إلى قوله ((بما كانوا يفسقون)) فأنها نزلت في المدينة، عدد آياتها مائتان وست آيات حجازي كوفي، وخمس بصري شامي(الطبرسي، بلا تاريخ ، ج٤، ص١٧٩).

اللغة الإبداء : الإظهار، وهو جعل الشيء على صفة ما يصح أن يدرك، وضده الإخفاء، وكل شيء أُزيل عنه الساتر فقد أبدي : المواراة : جعل الشيء وراء ما يستره، ومثله(الطبرسي، بلا تاريخ ، ج٤، ص١٩٤) المساترة، وضده المكاشفة.

وأصل القسم : من القسمة، والمقاسمة لا تكون إلا بين أثنين، والقسم كان من أبليس لا من آدم، فهو من باب عاقبت اللص(الطبرسي، بلا تاريخ ، ج٤، ص١٩٥).

المعنى ((يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة)) هذا أمر بالسكنى دون السكن، وأنما لم يقل : زوجتك لأن الإضافة إليه قد أغنت عن ذكره، وأبانت عن معناه، فكان الحذف أحسن لما فيه من الإيجاز في غير إخلال بالمعنى.

((قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة)) أي : عن أكل هذه الشجرة ((إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين)) والمعنى : أنه أوهمهما أنهما إذا أكلا من هذه الشجرة تغيرت صورتها إلى صورة الملك، وان الله تعالى قد حكم بذلك، وبأن لا تبيد حياتهما إذا أكلا منها(الطبرسي، بلا تاريخ ، ج٤، ص١٩٦).

اللغة : دلاهما : قبل أصله : من تدليه الدلو، وهو أن ترسلها في البئر، والغرور : إظهار النصح مع إبطان الغش، وأصل الغر : طي الثوب يقال : أطوه على غره، أي كسر طيه، والخصف : أصله الضم والجمع، ومنه خصف النعل، والمخصف : المثقب الذي يخصف به النعل، والإخصاف سرعة العدو، لأنه يقطعه بسرعة(الطبرسي، بلا تاريخ ، ج٤، ص١٩٧).

المعنى : (فدلهما بغرور) أي : أوقعها في المكروه بان غرهما بيمنه.

((فلما ذاقا الشجرة)) أي : ابتدءاً بالأكل، ونالا منها شيئاً يسيراً، ولذلك أتى بلفظة : ذاقا عبارة عن أنهما تناولا شيئا قليلاً من ثمرة الشجرة، على خوف شديد، لأن الذوق ابتداء الأكل والشرب ليعرف الطعم وفي هذا دلالة على أن ذوق الشيء المحرم يوجب الذم فكيف استيفاؤه وقضاء الوطر منه.

((بدت لهما سوءاتهما)) أي : ظهرت لهما عوراتهما، ظهر لكل واحد عورة صاحبه.

((طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة)) أي أخذا يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سؤاتهما(الطبرسي، بلا تاريخ ، ج٤، ص١٩٨).

تفسير الطبري ((يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة ...)).

فأسكن جل ثناؤه آدم وزوجته الجنة بعد أن أهبط منها أبليس وأخرجه منها، وأباح لهما أن يأكلا من ثمارها في أي مكان شاءا منها، ونهاهما ان يقربا ثمر شجرة بعينها ((فتكونا من الظالمين)) فتكونا ممن خالف امر ربه وفعل ما ليس له فعله.

((فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ...)) يعني جل ثناؤه فوسوس وتلك الوسوسة كانت قوله لهما ((ما نهاكما ربكما ...)) وأقسامه لهما على ذلك، فوسوس من نفسه إليهما الشيطان بالكذب من القيل(الطبري، ج٨، ص١٦٦).

القول في تأويل قوله تعالى ((وما ما نهكما ربكما .... تكونا خالدين)).

يقول جل ثناؤه، وقال الشيطان لآدم وزوجته سواء : مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة أن تأكلا ثمرها إلا لئلا تكونا ملكين : واسقطت (لا) من الكلام لدلالة ما ظهر عليها(الطبري، ج٨، ص١٦٧).

معنى الكلام : ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا كراهة أن تكونا ملكين كما يقال إياك أن تفعل كراهية أن تفعل، أو تكونا من الخالدين في الجنة الماكثين فيها ابدا فلا تموتا)).

القول في تأويل قوله تعالى ((وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين)) وقاسمهما وحلف لهما(الطبري، بلا تاريخ ، ج٨، ص١٦٧)، وقوله ((أني لكما لمن الناصحين)) أي ينصح لكما في مشورته لكما، وأمره أياكما، بأكل ثمرة الشجرة التي نهيتما من أكل ثمرها.

القول في تأويل قوله تعالى ((فدلهما بغرور ....))

يعنى جل ثناؤه بقوله ((فدلهما بغرور)) فخدعها بغرور، يقال ما زال فلان يدلي فلاناً بغروره بمعنى ما زال يخدعه بغروره ويكلمه بزخرف من القول باطل ((فلما ذاقا الشجرة)) يقول : فلما ذاق آدم وحواء ثمر الشجرة، يقول

طعماء ((بدت...)) يقول انكشفت لهما سوأتهما، لأن الله أمراهما من الكسوة التي كان كساهما قبل الذنب والخطيئة، فلبسهما ذلك بالخطيئة التي أخطأها، أو المعصية التي ركبا(الطبري، بلا تاريخ ، ج٨، ص١٦٨).

٢- منهج الكشاف :-

((ويا آدم)) وقلنا : يا آدم، وقرى : ((هذي الشجرة)) والأصل الياء والهاء بدل منها ويقال : وسوس، إذا تكلم كلاماً خفياً يكرره، ومنه وسوس الحلي، وهو فعل غير متعد، ((ليبدي)) جل ذلك غرضاً له ليسوءهما إذا رأيا ما يؤثران ستره، وأن لا يطلع عليه مكشوفاً(الخوارزمي، بلا تاريخ، ج٢، ص٩٠)، كان قلت : ما الواو المضمومة في ((ورى)) قلت، لأن الثانية مرة كألف وارى، ((ألا أن تكونا ملكين)) إلا كراهة أن تكونا ملكين، وفيه دليل على أن الملكية بالمنظر الأعلى، وأن البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا قرئ : ((ملكين)) بكسر السلام، كقوله ((وملك لا يبلى)) [طه : ١٢٠].

((من الخالدين)) من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ : ((من سوأتهما)) بالتوحيد، و ((سؤاتهما)) بالواو المشددة، و ((قاسمهما)) وأقسم لهما، ((إنى لكا لمن الناصحين)) المقاسمة : ان تقسم لصاحبك ويقسم لك ومنه قوله تعالى : ((تقاسموا بالله لنبيتنه)) [النمل : ٤٩]

((فدلما)) فنزلهما إلى الأكل من الشجرة ((بغرور)) بما غررهما به من القسم بالله.

((فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما)) أي تهافت عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما، وكانا لا يريانها من انفسهما، ولا أحدهما الأخر(الخوارزمي، بلا تاريخ، ج٢، ص٩٢)، ((يخصفان)) ورقة فوق ورق على عوراتهما ليستترا بها، كما يخصف النعل بأن تجعل طرقة على طرفة وتوثق بالسيور، ((من ورقة الجنة)) قيل : كان ورق التين، إلم أنهكما)) عتاب من الله تعالى وتوبيخ وتنبيه على الخطأ، حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة ألبيس(الخوارزمي، بلا تاريخ، ج٢، ص٩٢).

٣- منهج الميزان :-

قوله ((يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة)) إلى آخر الآية، خص الخطاب آدم (عليه السلام) وألحقه به في الحكم زوجته، وقوله ((فكلا من حيث شئتما)) توسعه في إباحة التصرف إلا ما استثناه بقوله : ((ولا تقربا هذه الشجرة)) والظلم هو الظلم على النفس دون معصية، الأمر المولوي فإن الأمر ارشادي.

قوله تعالى ((فوسوس لهما الشيطان)) إلى أخر الآية، الوسوسة : هي الدعاء إلى أمر بصوت خفي، والمواراة ستر الشيء بجعله وراء ما يستره والسواة جمع السوءة وهي العضو الذي يسوء الإنسان إظهاره والكشف عنه، وقوله ((ما نهاكما ربكما عن هه الشجرة إلا أن تكونا ملكين)) الخ، أي إلا كراهة أن تكونا ملكين.

قوله تعالى : ((وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين)) المقاسمة المبالغة(الطباطبائي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، ج٨، ص٣٥).

في القسم أي حلف لهما وأغلفت في حلفائه أنه لهما لمن الناصحين، والنصح خلاف الغش، قوله تعالى : ((فدلهما بغرور)) إلى أخر الآية، التدلية والتقريب والإيصال كما أن التدلي والدنو والاسترسال، وكأنه من الاستعارة من دلوت الدلو أي أرسلتها.

والغرور إظهار النصح مع إبطان الغش، والخصف الضم والجمع، ومنه خصف النعل.

وفي قوله تعالى : ((وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة)) دلالة على أنهما عند توجه هذا الخطاب كانا في مقام البعد من ربهما لأن النداء هو الدعاء من بعد، وكذا من الشجرة بدليل قوله : ((تلكما الشجرة)) بخلاف قوله عند أول ورودهما الجنة : ((ولا تقربا هذه الشجرة)).

قوله تعالى : ((قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وأن لم نغفر لنا وترحمنا لتكونن من الخاسرين))، هذا منها نهاية التذلل والابتهال، ولذلك لم يسألا شيئاً وإنما ذكرا حاجتهما إلى المغفرة والرحمة وتهديد الخسران الدائم المطلقة لهما حتي يشاء الله ما يشاء(الطباطبائي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، ج٨، ص٣٦).

(كلام في أبليس وعمله)

لم خلق الله أبليس ، وهو يعلم من هو ، لم أدخله في جمع الملائكة وليس منهم؟ ولم أمره بالسجدة وهو يعلم أنه لا يأتمر؟ ولم لم يوقفه للسجدة وأغواه؟ ولم لم يهلكه حين لم يسجد؟ لم انظره إلى يوم الوقت المعلوم؟ لم مكنه من النبي آدم هذا التمكين العجيب الذي به يجرى منهم مجرى الدم؟ لم أيده بالجنود من خيل ورجل وسلطة على الجميع ما للحياة الإنسانية به مساس؟ ولم لم يظهره على حواس الإنسان ليحترز مساسه؟ لم لم يؤيد الإنسان بمثل ما أيده به؟ لم لم يكتم أسرار خلقه آدم وبنيه من أبليس حتى لا يطمع في أغوائهم، وكيف جازت المشافهة بينه وبين الله سبحانه وتعالى وهو أبعد الخلق منه وأبغضهم إليه ولم يكن نبي ولا ملك؟

ثم كيف دخل إبلس الجنة؟ وكيف جاز وقوع الوسوسة والكذب والعصبة هناك وهي مكان الطهارة والقدس، وكيف صدقه آدم وكان قوله مخالفاً لخبر الله؟ وكيف طمع في الملك والخلود وذلك يخالف اعتقاد المعاد؟ وكيف جازت(الطباطبائي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، ج٨، ص٣٧) العصية وهو نبي معصوم؟ وكيف قبل توبته ولم يرد إلى مقامه الأول والتائب من الذنب كمن لا ذنب له؟ وكيف ....؟ وكيف؟(الطباطبائي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، ج٨ ، ص٣٨).

٤- منهج تفسير الأمثل :-

((ويا آدم أسكن وأنت وزوجك الجنة)) يستفاد من هذه العبارة أن آدم وحواء لم يكونا في بدء الخلقة في الجنة، أنما خلقا أولا ثم هديا إلى السكنى في الجنة وأن القرائن تفيد أن تلك الجنة لم تكن جنة القيامة، بل كانت بستاناً جميلاً أخضر من البساتين في هذا العالم، وفر الله سبحانه فيها جميع أنواع النعم والخيرات، وفي هذه الأثناء صدر أول تكليف وأمر ونهي إلى آدم وحواء من جانب الله تعالى بهذه الصورة ((فكلا من حيث شئتما ولا تقرب هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)) أي أن(الشيرازي، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، ج٤، ص٣٢٤) الأكل من جميع الأشجار في هذه الجنة مباح لكما إلا شجرة خاصة ولا تقرباها وإلا كنتما من الظالمين.

ثم أن الشيطان الذي طرد من رحمة الله تعالى بسبب إحجامه عن السجود لآدم وكان قد صمم على أن ينتقم لنفسه من آدم وبنيه ما أمكن . ويسعى في إضلالهم ما استطاع وكان يعلم جيداً أن الأكل من الشجرة الممنوعة تعرض آدم للإخراج من الجنة، عمد إلى الوسوسة لآدم وزوجته، وبغية الوصول إلى هذا الهدف نشر شباكاً متنوعة على طريقهما، ففي البداية بدأ بنزع لباس الطاعة والعبودية لله عنهما فأبدى عورتهما التي كانت مخبأة مستورة ((فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ورى عنهما من سوائهما)) (الشيرازي، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، ج٤، ص٣٢٥).

وقع آدم في حبائل الشيطان، وانخدع بوسوسته في المآل، ونزل بحبل خداعه في بئر الوساوس الشيطانية للحصول على ماء الحياة الخالدة والملك الذي لا يبلى، ولكنه ليس فقط لم يظفر بماء الحياة كما ظن، بل سقط في ورطة المخالفة والعصيان للأوامر الإلهية كما يعبر القرآن عن ذلك، ويلخصه في عبارة موجزة إذ يقول ((فدلهما بغرور))، ومع أن آدم كان من اللازم أن يبدر كل الوساوس ويقاومها، ولا يسلم للشيطان إلا أنه قد وقع على كل حال، ويستفاد من قوله ((بدت لهما سوأتهما)) انهما بمجرد أن ذاقا من ثمرة الشجرة الممنوعة أصيبا بهذه العاقبة المشومة، وفي الحقيقة جردا من لباس الجنة الذي هو لباس الكرامة الإلهية، وأنهما قبل ارتكابهما لهذه المخالفة لم يكونا عاريين بل كانا مستورين بلباس لم يرد في القرآن ذكر عن حقيقة ذلك اللباس وكيفيته.

لكن آدم الذي يصفه القرآن الكريم، لم يكن عارفاً بوضعه فحسب بل كان واقفاً على(الشيرازي، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، ج٤، ص٣٢٦) أسرار الخلقة أيضاً، وكان يعد معلم الملائكة، وهذا ما استطاع الشيطان أن ينفذ فيه فإن ذلك لم يكن بسبب جهله بل استغل الشيطان صفاء نيته وطيب نفسه ويشهد لهذا القول الآية ٢٧ من نفس هذه السورة والتي تقول : ((يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة...)) (الشيرازي، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، ج٤، ص٣٢٧).

وعلى كل حال فإن القرآن يقول : أن آدم وحواء لما وجدا نفسيهما عاريين عمداً فوراً إلى ستر نفسيهما باوراق الجنة : ((وطفقا يخصفان عليهما من ورقة الجنة)).

قوله : ((وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما أن الشيطان لكما عدو مبين)).

من المقايسة بين تعبير هذه الآية والآية الأولى التي جاز الله فيها لآدم وحواء أن يسكنا الجنة، يستفاد بوضوح أنهما بعد هذه المعصية ابتعدا عن مقام القرب الإلهي إلى درجة أن أشجار الجنة أضحت بعيدة عنهما، لأنه في الآية السابقة تمت الإشارة إلى الشجرة بأداة الإشارة القريبة ((هذه الشجرة)) واما في هذه الآية فقد استعملت مضافاً إلى كلمة ((نادى)) التي هي للخطاب من بعيد، استعملت ((تلكما)) التي هي للإشارة إلى البعيد(الشيرازي، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، ج٤، ص٣٢٧).

عندما عرف آدم وحواء بكيد أبليس وخطته ومكره الشيطاني ورأيا نتيجة مخالفتهم فكراً في تلافي ما فات، وجبران ما صدر عنهما فكانت أول خطوة خطاياه هي : الاعتراف بظلمهما لنفسيهما أمام الله : ((قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وأن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)) (الشيرازي، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، ج٤، ص٣٣٤).

في لفظة الشجرة هناك معنيان أو تفسيران :

الأول : مادي وهي أن الشجرة كانت ((الحنطة))، ويجب الانتباه إلى نقطة وهي أن العرب تطلق لفظة الشجرة على النبتة أيضاً.

الثاني : معنوي وهي أن المقصود في تلك الشجرة ((شجرة الحسد)) لأن آدم تصور أنه لا يوجد فوق مقامه مقام ولا فوق مكانته مكانة لكن الله أطلعه على(الشيرازي، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، ج٤، ص٣٢٨) مقام ثله من الأولياء من ذريته وأبناءه ((رسول الإسلام وأهل بيته)) فحصل عنده ما يشبه الحسد.

لقد تناول آدم من شجرتين، كانت أحداهما أقل منه مرتبه وأدنى منه منزله وقد قادته إلى العالم المداي، وكانت هي ((الحنطة)) والأخرى الشجرة المعنوية التي كانت تمثل مقام ثلة من أولياء الله، والذي كان أعلى وأسماى من مقامه ومرتبته، وحيث أنه تعدى حده في كلا الصعيدين ابتلي بذلك الضمير المؤلم.

لكن يجب أن نعرف أن هذا الحسد لم يكن من النوع الحرام، بل كان مجرد إحساس نفساني من دون أن تتبعه أية خطوة عملية، وقد ورد المعنيان في القرآن الكريم ، في المعنى المادي ((وشجرة تخرج من طور سينا تنبت بالدهن)) [المؤمنون ٢٠]، وهي أشارة إلى شجرة الزيتون أما في المعنى المعنوي ((والشجرة الملعونة في القرآن)) [الأسراء ٦٠]، التي يكون المراد منها إما طائفة من المشركين، أو اليهود، أو الأقوام الطاغية مثل بني أمية(الشيرازي، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، ج٤، ص٣٢٩).

المعصية نوعان :-

الأول : المعصية المطلقة : وهي مخالفة النهي التحريمي، وتجاهل الأمر الإلهي القطعي، وهي تمثل كل نوع من أنواع ترك الواجب وإتيان الحرام.

الثاني : المعصية النسبية : وهي أن يصدر من شخصية كبيرة عمل غير حرام لا يناسب شانه ولا يليق بمقامه، وربما يكون إتيان عمل مباح لا يليق بشأن الشخصيات الكبيرة، وفي هذه الصورة يعد إتيان ذلك العمل ((معصية نسبية)) كما لو ساعد مؤمن واسع الثراء فقيراً لإنقاذه من مخالب الفقر بمبلغ تافه، فإن ليس من شك في أن هذه المالية مهما كانت صغيرة وحقيرة لا تكون فعلاً حراماً، بل هي أمر مستحب ولكن كل من يسمع بها يذم ذلك الغني حتى كأنه ارتكب معصية وافترق ذنباً، وذلك لأنه يتوقع من مثل هذا الغني المؤمن أن يقوم بمساعدة أكبر.

كما في قصة يعقوب النبي ((عليه السلام)) في محنة فراق ولد يوسف كان لأجل غفلته عن إطعام فقير صائم وقف على باب بيته عند غروب الشمس يطلب طعاماً فغفل يعقوب عن إطعامه، فعاد الفقير جائعاً منكسراً خائباً(الشيرازي، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، ج٤، ص٣٣١).

المبحث الأول

سورة الأعراف بين المفسرين وعلوم القرآن

١- توطئة : يتضمن هذا المبحث كل من التحليل اللغوي للألفاظ والإعراب والوجوه البلاغية.

٢- التحليل اللغوي للألفاظ : أن التحليل اللغوي يبحث في معنى ألفاظ وردت في سورة الأعراف ومنها :

آدم : أبو البشر قيل : سمي بذلك لكون جسده من أديم الأرض، وقيل لسمرة في لونه، يقال : رجل آدم نحو أسمر، وقيل سمي بذلك لكونه من عناصر مختلفة، وقوى متفرقة، كما قال تعالى : ((أمشاج نبتليه)) [الإنسان/٢] ويقال : جعلت فلاناً آدمه أهلي أي خلطه بهم(الأصفهاني، بلا تاريخ، ص٩٦).

زوج : يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة زوج ولكل قرينين فيها وفي غيرها زوج كالخف والنعل، ولكل ما يقترن بأخر مماثلاً له أو مضاد زوج ، قال تعالى : ((فجعل منه الزوجين الذكر والإنثى)) [القيامة/٣٩]، قال : ((وزوجك الجنة)) [البقرة/٣٥]، وجمع الزوج أزواج وقوله : ((هم وازواجهم)) [يس/٥٦]، ((واحشروا الذين ظلموا و أزواجهم)) [الصافات/٢٢]، أي اقرانهم المقتدين بهم في أفعالهم(الأصفهاني، بلا تاريخ، ص٢٨٤).

الجنة : كل بستان ذي شجر يستر بأشجاره الأرض، قال عز وجل ((لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال)) [سبأ/١٥]، ((ولولا إذ دخلت جنتك)) [الكهف/٣٩].

قيل : وقد تسمى الأشجار الساترة جنة، وعلى ذلك حمل قول الشاعر :

من النواضح تسقى جنة سحقاً

وسميت الجنة أما تشبيها بالجنة في الأرض وأن كان بينهما بون، أول ستره نفسها عنا المشار إليه بقوله تعالى : ((فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين))[السجدة/١٧] (الأصفهاني، بلا تاريخ، ص١٢٨).

قرب : القرب والبعد يتقابلان يقال قربت منه أقرب وقربته أقربه قربا وقربانا، ويستعمل ذلك في المكان وفي الزمان وفي النسبة وفي الخطوة والرعاية والقدرة، فمن الأول ((ولا تقربا هذه الشجرة)) [البقرة/٣٥] وفي الزمان نحو : ((أقترب للناس سابهم)) [الأنبياء/١] وفي الخطوة : ((والملائكة المقربون)) [النساء/١٧٢] وفي الرعاية : ((أن رحمة الله قريب من المحسنين)) [الأعراف/٥٦] وقوله أيضاً : ((فإني قريب أجيب دعوة الداع)) [البقرة/١٨٦] وفي القدرة ((ونحن أقرب إليه من حبل الوريد)) [ق/١٦] (الأصفهاني، بلا تاريخ،، ص٥١٥).

شجر : الشجر من النبات ماله ساق، يقال شجرة وشجر نحو ثمرة وثمر ((إذ يبايعونك تحت الشجرة)) [الفتح/١٨] وقال ((أأنتم أنشأتم شجرتها)) [الواقعة/٧٢] وقال ((والنجم والشجر)) [الرحمن/٦] وقال ((أن شجرة الزقوم)) [الدخان/٤٣].

وواد شجير كثير الشجر، وهذا الوادي أشجر من ذلك، والشجار والمشاجرة والتشاجر المنازعة، قال : ((فيما شجر بينهم)) [النساء/٦٥] (الأصفهاني، بلا تاريخ، ص٣٣٧).

ظلم : الظلمة عدم النور وجمعها ظلمات، قال : ((أو كظلمات في بحر لجي)) [النور/٤٠]، ((وظلمات بعضها فوق بعض)) [النور/٤٠]، و ((وجعل الظلمات والنور)) [الأنعام/١]، ويعبر بها عن الجهل والشرك والفسق كما يعبر بالنور عن أضدادها، قال الله تعالى : ((ويخرجهم من الظلمات إلى النور)) [البقرة/١٨] وقوله في ((ظلمات ثلاث)) [الزمر/٦]، أي بطن والرحم والمشيمة وأظلم فلان حصل في ظلمه، قال ((فإذا هم مظلمون) [يس/٣٧] والظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء وضع الشيء في غير موضعه ومنه يقال : ظلمت السقاء إن تناولته من غير وقته، ويسمى ذلك اللبن الظليم، وظلمت الأرض حفرتها، ولم تكن موضعاً للحفر، وتلك الأرض يقال المظلومة والتراب الذي يخرج فيها ظليم، والظلم يقال في مجاورة الحق ويقال في الذنب الكبير وفي الذنب الصغير.

والظلم ذكر النعام، والظلم ماء النساء(الأصفهاني، بلا تاريخ، ص٤١٠).

وسوس : الوسوسة الخطرة الرديئة، وأصله من الوسواس وهو صوت الحلى والهمس الخفي، قال : ((فوسوس إليه الشيطان)) [طه/١٢] وقال ((من شر الوسواس الخناس)) [الناس/٤] ويقال لهمس الصائد وسواس(الأصفهاني، بلا تاريخ، ص٦٧٧).

وري : يقال واريت كذا إذا سترته، قال تعالى ((قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سواتكم)) [الأعراف/٢٦] وتوارى أستتر قال : ((حتى توارت بالحجاب)) [ص/٣٢].

ووراء إذا قيل وراء زيد كذا فأنه يقال لمن خلفه نحو قوله : ((ومن وراء إسحاق يعقوب)) [هود/٧١].

ويقال لمن كان قدامه نحو : ((وكان وراءهم ملك)) [الكهف/٧٩] وقوله ((أو من وراء جدار)) [الحشر/١٤] فإن ذلك يقال في أي جانب من الجدار فهو وراءه(الأصفهاني، بلا تاريخ، ص٦٧٢).

ملك : الملك هو المتصرف بالأمر والنهي في الجمهور وذلك يختص بسياسة الناطقين ولهذا يقال ملك الناس، ولا يقال ملك الأشياء والملك ضربان، ملك هو التملك والتولي، وملك هو القوة على ذلك تولى أو لم يقول، فمثال الأول ((أن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها)) [بالنحل/٣٤]

والثاني ((إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً)) [المائدة/٢٠] (الأصفهاني، بلا تاريخ، ص٦١١).

نهى : النهي الزجر عن الشيء، قال : ((أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى)) [العلق/٩-١٠)، وهو من حيث المعنى لا فرق بين أن يكون بالقول أو بغيره وما كان بالقول، فلا فرق بين أن يكون بلفظة افعل نحو : اجتنب كذا أو بلفظة لا تفعل، ومن حيث اللفظ هو قولمه : لا تفعل كذا، فإذا قيل لا تفعل كذا منهي من حيث اللفظ والمعنى جميعاً نحو ((ولا تقربا هذه الشجرة)) [البقرة/٣٥]، ولهذا قال : ((ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة)) [الأعراف/٢٠].

وكذلك النهي عن المنكر، تارة يكون باليد، وتارة باللسان، وتارة بالقلب، قال ((تنهنا أن نعبد ما يعبد أباؤنا)) [هود/٦٢] وقوله ((وينهى عن الفحشاء)) [النحل/٩٠] أي يحث على فعل الخير، ويزجر عن الشر(الأصفهاني، بلا تاريخ، ص٦٥٦).

خصف : يجعلان عليهما خصفه من أوراق، ومنه قيل لجلة النمر خصفه وللثياب الغليظة جمعه خصف، ولما يطرق به الخف خصفه وخصفت النعل بالمخصف(الأصفهاني، بلا تاريخ، ص١٩٨).

٢- أعراب الآيات المطلوبة :-

الأعراب : "الواو" استئنافية (يا) حرف نداء (آدم) منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب (اسكن) فعل أمر، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، (انت) ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع توكيد للضمير المستتر فاعل اسكن (الواو) عاطفة (زوج) معطوف على الضمير المستتر فاعل اسكن و (الكاف) ضمير مضاف إليه (الجنة) مفعول به مصوب (الفاء) عاطفة (كلا) فعل أمر مبني على حذف النون و (الألف) ضمير فاعل (من) حرف جر (حيث) اسم مبني على الضم في محل جر متعلق بـ(كلا)، وفي الكلام حذف أي كلا منها – أي من ثمارها – حيث (شئتما) فعل ماض مبني على السكون، و (التاء) ضمير فاعل (وما) حرف عماد للتثنية .. (الواو) عاطفة (لا) ناحية جازمة (تقربا) مضارع مجزوم وعلامة جمه حذف النون و (الألف) ضمير فاعل (ها) حرف تنبيه (ذه) اسم أشارة – أو عطف بيان – منصوب (الفاء) فاء السببية (تكونا) مضارع ناقص – ناسخ – منصوب بأن مضمرة بعد الفاء، و (الألف) ضمير في محل رفع اسم تكون (من الضالمين) جار ومجرور ومتعلقة بحذف خبر تكون.

وجملة ((النداء وصلتها ...)) لا محل لها استئنافية.

وجملة ((اسكن ...)) لا محل لها جواب النداء.

وجملة ((كلا ...)) لا محل لها معطوفة على جملة جواب النداء.

وجملة ((شئتما ....)) في محل جر مضاف إليه.

وجملة ((لا تقربا ...)) لا محل لها معطوفة على جملة كلا.

وجملة ((تكونا ....)) لا محل لها صلة الموصول الحرفي (أن) المضمر(صافي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص٣٧٤).

والمصدر المؤول (أن تكونا ...) معطوفة على مصدر متصد من الكلام السابق اي : لا يبكن فكلما قرب محصول الظلم منكما.

(الفاء) عاطفة (وسوس) فعل ماض (اللام) حرف جر و (هما) ضير متصل في محل جر متعلقة بـ(وسوس) ، (الشيطان) فاعل مرفوع (اللام) لام العاقبة (يبدي) مضارع منصوب بأن المضمرة بعد اللام، والفاعل هو (لهما) مثل الأول متعلقة بـ(يبدي)، (ما) اسم موصول مبني في محل نصب م. به (ووري) فعل ماضي مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وهو العائد(صافي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص٣٧٥).

((عنهما)) مثل لهما متعلقة بـ(ووري)، (من سوءات) جار ومجرور متعلقة بحال من الضمير المستتر، و (هما) ضمير مضاف إليه.

والمصدر المؤول (أن يبدي ...) في كل جر باللام متعلقة بـ(وسوس) (الواو) عاطفة (قال) فعل ماض والفاعل هو (ما) حرف نفي (نهى) فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف و (كما) ضمير مفعوله به (رب) فاعل مرفوع و (كما) مضاف إليه (عن) حرف جر (هذه الشجرة) مثل الأولى في محل جر متعلقة بـ(نهى)، (إلا) حرف للحصر (أن) حرف مصدري ونصب (تكونا) مثل الأول (ملكين) خبر تكون منصوب وعلامة النصب الياء (أو) حرف عطف (تكونا من الخالدين) مثل(صافي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص٣٧٥).

تكونا من الضالمين والفعل معطوف على الأول.

والمصدر المؤول (أن تكونا ...) في محل نصب مفعول لأجله على حذف مضاف أي خشية أن تكونا.

وجملة (وسوس ... الشيطان) لا محل لها معطوفة على الاستئناف المتقدم.

وجملة (يبدي ...) لا محل لها صلة الموصول الحرفي (أن) المضمر.

وجملة (ووري ...) لا محل لها صلة الموضول (ما).

وجملة (قال ...) لا محل لها معطوفة على جملة وسوس.

وجملة (ما نهاكما ربكما ...) في محل نصب مقول القول.

وجملة (تكونا ملكيين ..) لا محل لها صلة الموصول الحرفي (أن).

وجملة (تكونا من الخالدين) لا محل لها معطوفة على جملة (تكونا ملكيين) (صافي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص٣٧٦).

(الواو) عاطفة (قاسم) فعل ماض وهما ضمير مفعول به والفاعل هو (أن) حرف مشبه بالفعل (والياء) ضمير في محل نصب اسم ان (اللام) حرف جر و (كما) ضمير في محل جر متعلقة بالناصحين (اللام) هي الرابطة للقسم (من الناصحين) جار ومجرور متعلقة بمحذوف خبر (ان) وعلامة الجر الياء.

وجملة (قاسمهما ...) لا محل لها معطوفة على جملة قال ...

وجملة (إني ... من الناصحين) لا محل لها جواب القسم(صافي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص٣٧٦).

الفاء العاطفة (دلاهما) مثل قاسمهما (بغرور) جار ومجرور متعلقة بحال من الضمير المفعول (الفاء) استئنافية (لما) ظرف بمعنى حين متضمن معنى الشرط مبني في محل نصب متعلقة بـ(بدت).

(ذاقا) فعل ماض .. و(الألف) ضمير فاعل (الشجرة) مفعول به على حذف مضاف أي ثمرة الشجرة، منصوب (بدت) فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، و (التاء) للتأنيث (لهما) مثل الأول متعلقة بـ(بدت)، (سوءات) فاعل مرفوع و (هما) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (طفقا) فعل ماض ناقص للشروع و (الألف) ضمير اسم طفقة (يخصفان) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون و (الألف) ضميراً فاعل (على) حرف جر و (هما) ضمير في محل جر متعلقة بـ(يخصفان) تجاوزاً بتضمينه معنى يردان أو يهيلان ورقة الجنة عليهما (من ورق) جاء ومجرور متعلقة بمحذوف نعت للمفعول به المقدر أي يخصفان عليها شيئاً حاصلاً من

ورقة الجنة (الجنة) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (ناداهما) مثل ولاهما (رب) فاعل مرفوع و (هما) ضمير مضاف إليه (الهمزة) للاستفهام (لم) حرف نفي وقلب وجزم (أنه) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف حرف العلة (وكما) ضمير مفعوله به(صافي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص٣٧٧).

(عن) حرف جر (تكلما) اسم اشارة مبني في محل جر متعلقة بـ(أنه) و (اللام) للبعد و (كما) حرف خطاب للمثنى (الشجرة) بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان – مجرور (الواو) عاطفة (أقل) مثل أنه ومعطوف عليه (اللام) حرف جر و (كما) ضمير في محل جر متعلق بـ(أقل)، (أن) حرف مشبه(صافي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص٣٧٧) بالفعل – ناسخ – (الشيطان) اسم أن منصوب (لكما) مثل السابقة متعلقة بعد و(عدو) خبر أن مرفوع (مبين) نعت لعدو مرفوع.

وجملة (دلاهما ...) لا محل لها معطوفة على الاستئناف المتقدم.

وجملة (ذاقا ...) في محل جر مضاف إليه.

وجملة (بدت ...) لا محل لها جواب شرط غير جازم.

وجملة (طفقا ..) لا محل لها معطوفة على جملة بدت سواءتهما.

وجملة (يخصفان ...) في كل نصب خبر طفقا.

وجلة (ناداهما ...) لا محل لها معطوفة على جملة بدت.

وجملة (أنهكما ....) لا محل لها تفسير للنداء.

وجملة (أقل ....) لا محل لها معطوفة على جملة أنكما .

وجملة (أن الشيطان) في محل نصب مفعول القول(صافي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص٣٧٨).

(قالا) مثل ذاقا (رب) منادى مضاف حرف النداء، منصوب ، و (نا) ضمير مضاف إليه (ظلمنا) فعل ماض مبني على السكون (ونا) ضمير فاعل (انفس) منصوب (نا) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (أن) حرف شرط جازم، وحذفت اللام الموطئة للقسم قبله (لم) حرف نفي فقط (تغفر) مضارع مجزوم، والفاعل ضمير مستتر تقديره (انت) (اللام) حرف جر (نا) ضمير في عمل جر متعلقة بـ(تغفر)، (الواو) ، (الواو) عاطفة (ترحم) مثل تغفر ومعطوف عليه و (نا) ضمير مفعول به (اللام) لام القسم (تكونن) مضارع ناقص – ناسخ – مبني على الفتح في محل رفع و (النون) للتوكيد، واسمه ضمير مستتر تقديره (نحن من الخاسرين) جار ومجرور متعلقة بمحذوف خبر تكونن(صافي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص٣٨٠).

جملة (قالا) لا محل لها استئنافية.

وجملة (ربنا) وجوابها، في محل نصب مقول القول.

وجملة (ظلمنا) لا محل لها من الأعراب.

وجملة (تقولنا) لا محل لها من الاعراب معطوفة في جواب النداء.

وجملة (ترحمنا) لا محل لها من الاعراب معطوفة في جواب النداء.

وجملة (تكونن) لا محل لها من الاعراب، جواب القسم المقدر وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم(صافي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، ص٣٨١).

الوجوه البلاغية :-

((فوسوس لهما الشيطان)) أي : إليهما، والوسوسة، حيث يلقيه الشيطان في قلب الإنسان ((ليبدي لهما ما ورى عنهما)) أي : أظهر لهما، ما غطي وستر عنهما من عوراتهما، قيل : اللام لام العاقبة وذلك أن ابليس لم يوسوس بهذا ولكن كان عاقبة أمرهم ذلك، وهو ظهور عوراتهما، كقوله تعالى ((فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً)) [القصص/٨]، فقال : ((وقال)) يعني أبليس لآدم وحواء ((ما نهاكما ربكما عن تلكما الشجرة إلا أن تكونا ملكين))، يعني : لئلا تكونا، كراهية أن تكونا ملكين من الملائكة يعلمان الخير والشر، ((أو تكونا من الخالدين))، من الباقين الذين لا يموتون كما قال في موضع أخر : ((هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى)) [طه/١٢٠].

((وقاسمهما أني لكما من الناصحين)) أي، واقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد، قال قتادة : حلف لها بالله حتى خدعها، وقد يخدع المؤمن بالله، فقال إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما، وأبليس أول من حلف بالله كاذبا فلما حلف ظن(البغوي، بلا تاريخ، ص٢١٩).

((فدلهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورقة الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما أن الشيطان لكما عدواً مبين)).

آدم أن أحد لا يحلف بالله كاذبا، فاغتر به ((فدلها بغرور)) أي : خدعها، يقال : ما زال فلان يدلي الفلان بغرور، يعني : ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف باطل من القول.

وقيل : حطمها من منزلة الطاعة إلى حالة المعصية، ولا يكون التدلي إلا في علو إلى أسفل.

والتدلية : إرسال الدلو في البئر، يقال : تدلى بنفسه ودلى غيره، قال الأزهري : أصله : تدلية العطشان البئر ليروى من الماء ولا يجد ماء فيكون مدلى بغرور والغرور إظهار النصح مع إبطال الغش(البغوي، بلا تاريخ، ص٢٢٠).

((فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سؤاتهما)) قال الكلبي : فلما أكلا منها، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : قيل أن ازدردوا أخذتهما العقوبة، والعقوبة أن (بدت) ظهرت لهما (سؤاتهما) عوراتهما، تهافت عنها لباسهما حتى أبصر كل واحد منهما ما روي عن عورة صاحبه، وكانا لا يريان ذلك، قال وهب : كان لباسهما من النور، وقال قتادة : كان ظفراً البسهما الله من الظفر لباساً فلما وقعا في الذنب بدت لهما سؤاتهما فاستحيا ((وطفقا)) اقبلا وجعلا ((يخصفان)) يرقعان ويلزقان ويصلان ((عليهما من ورقة الجنة)) وهو ورقة التين حتى صار كهيئة الثوب.

قال الزجاج : يجعلان ورقة على ورقة ليسترا سؤاتهما، وروي عن أبي بن كعب عن رسول الله (صل الله عليه وسلم) ((كان آدم رجلا طوالا كأنه نخلة سحوق*))(البغوي، بلا تاريخ، ص٢٢٠) (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة)) ، يعني : الأكل منها (وأقل أن الشيطان لكما عدو مبين))، أي : بين العداوة(البغوي، بلا تاريخ، ص٢٢٠).

المبحث الثاني

توطئة :

أن معرفة المكي والمدني من الآيات أضحى علم قائم بحد ذاته، فلابد للباحث في سورة القرآن الكريم معرفة ذلك والإطلاع على المؤلفات التي تناولت ذلك الموضوع لكي لا يقع في السهو والخلط بين المكي والمدني من السور.

فقد تناولنا في هذا المبحث شيء عن معرفة المكي والمدني والتمييز بين الأثنين.

أما ما يخص المعنى العام، فذلك يعتبر خالصة البحث في تلك الآيات ومعرفة مفرداتها ومعاني كلماتها، وهذا ما تطرقنا إليه أيضاً .

مصادر المكي والمدني :-

هناك طريقتان لمعرفة المكي والمدني:

أ- الطريقة الأولى : الاستقرائية التي تعتمد على النقل، وتسمى سماعية.

ب- الطريقة الثانية : الاستنباطية التي تعتمد على العقل، وتسمى القياسية.

ولعل أرجح الطريقتين : هو الجمع بين الاستقراء والاستنباط فإنه بهذا الجمع تكون النتائج أقرب إلى العلم، وأبعد عن الظن والتخمين، إذ أن الطريقة الاستقرائية عاجزة تقريباً عن تمييز كثير من السور والآيات المكية لفقدانها الأحداث المهمة، كما أن الطريقة الاستنباطية طريقة قياسية أو تخمينية، فالخصائص المستنبطة أنما هي غالبة أو ليست قطعية(الصفار، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، ص١٤٢).

الخصائص الشائعة في أغلب القسم المكي هي :

١- الدعوة إلى أصول العقيدة، كالإيمان بالله واليوم الأخر وتصوير مشاهد الحساب وأهل الجنة وأهل النار.

٢- الدعوة إلى التمسك بالخلق الرفيع.

٣- قصر الآيات والسور بصورة عامة.

٤- مجادلة المشركين.

٥- كثرة القسم.

٦- كثرة استعمال ((يا أيها الناس)).

٧- كثرة قصص الأنبياء والأمم، قصة آدم وإبليس.

---

* وهي النخلة الطويلة المفرطة في الطول التي تبعد غرها عن المجتني .

أما الخصائص الشائعة في أغلب القسم المدني فهي :

١- طول السور والآيات.

٢- مجادلة أهل الكتاب.

٣- التحدث عن المنافقين.

٤- كثرة ذكر الجهاد، والأذن به، وتفصيل أحكامه.

٥- تفصيل أحكام الحدود، والفرائض والحقوق والأنظمة الأرضية والقوانين السياسية والاقتصادية والمعاهدات والمواثيق الدولية.

٦- تفصيل الأدلة والبراهين عن الحقائق الدينية(الصفار، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ، ص١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨).

في كتاب تفسير الأمثل، هذه السورة مكية إلا قوله تعالى ((وأسألهم عن القرية)) إلى ((بما كانوا يفسقون)) الذي نزل في المدينة.

عدد آيات هذه السورة – الأعراف – ٢٠٦ أية أو ٢٠٥ أية كما عليه البعض (لمحة سريعة على محتويات هذه السورة) :

أن أكثر السور القرآنية ٨٠ إلى ٩٠ سورة نزلت في مكة ونظرا إلى الأوضاع التي كانت سائدة في المحيط المكي وحالة المسلمين خلال ١٣ عاما، وكذا بالإمعان في صفحات التاريخ الإسلامي بعد الهجرة يتضح بجلاء أن هناك فرقاً بين لحن السور المكية والسور المدنية.

ففي السور المكية يدور الحديث – غالباً – حول المبدأ والمعاد، وحول إثبات التوحيد، ويوم القيامة، مكافحة الشرك والوثنية، وتقوية مكانة الإنسان ودعم موقعه في عالم الخلق، لأن الفترة المكية كانت تشكل فترة بناء المسلمين من حيث العقيدة وتقوية أسس الإيمان كأسس وقواعد لـ"نهضة متجذرة".

ففي الفترة المكية كان على رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم) أن يطهر العقول والأذهان من جميع الأفكار الوثنية الخرافية، ويغرس محلها روح التوحيد والعبودية لله تعالى، والإحساس بالمسؤولية لأفراد الطبقة المسحوقة والمحقرة في زمن العهد الوثني واشعارهم بشخصيتهم الحضارية وهويتهم وكرامتهم الإنسانية، وحقيقة موقعهم في نظام الوجود، وعالم الخلق ليضع في ذلك الشعب الوضع المشحون بالخرافية، أمة ذات شخصية قوية وذات إرادة صلبة وإيمان فاعل، وقد كان هذا البناء العقائدي القوي الذي تم على يد رسول الإسلام(الشيرازي، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، ج٤، ص٢٩٥).

وهدي القرآن في مكة، هو السبب في تقدم الاسلام المطرود في المدينة إن أيات السور المكية كذلك تتناسب جميعها مع هذا الهدف الخاص.

أما الفترة المدنية : فقد كانت فترة تأسيس وبناء مجتمع سليم على أساس القيم الإنسانية، والعدالة الاجتماعية.

ولهذا تهتم السور المدنية في كثير من آياتها بتفاصيل القضايا الحقوقية والأخلاقية والاقتصادية والجزائية، وغير ذلك من الحاجات الفردية والاجتماعية وإذا أراد المسلمون اليوم أن يستعيدوا عظمتهم الغابرة ومجدهم القديم، وجب

عليهم أن ينفذوا هذا البرنامج بالذات، وأن يطوروا هاتين الفترتين بصورة كاملة فإنه ما لم تتوطد الأسس العقائدية، وما لم يتم بناؤها بشكل محكم لم تخط اللبنات الفوقية والبناء الحضاري للمجتمع بالمتانة والقوة اللازمة .

وعلى كل حال فحيث إن سورة الإعراف من السور المكية، لذلك تجلت فيها جميع خصائص السور المكية ولهذا نرى :

كيف أنها أشارت في البدء إلى مسألة ((المبدأ والعقاد)).

ثم عددت المواثيق التي اخذها الله تعالى من أبناء آدم في مسير الهداية والإصلاح ثم للتدليل على هزيمة وخسران الجماعات التي تحيد عن سبيل التوحيد والعدالة والتقوى، وكذا للتدليل على نجاح المؤمنين الصادقين وانتصارهم، ذكرت قصص كثير من الإقوام الغابرة، والأنبياء السابقين مثل ((نوح)) و ((لوط)) و ((شعيب)) وختمت ذلك ببيان قصة بني إسرائيل وجهاد ((موسى)) ضد فرعون بصورة مفصلة وفي أخر السورة عادت مرة أخرى إلى مسألة ((المبدأ والمعاد)) بهذا تناغم البداية والخاتمة(الشيرازي، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، ج٤، ص٢٩٦).

المعنى العام :

لقد خلق الله سبحانه وتعالى جميع ما في السموات والأرض لأجل العبادة المحضة له، ومصداق الخلقة التامة هي آدم ((عليه السلام)).

وأمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم ((عليه السلام)) وذلك السجود يفيد حقيقتين : الأولى : أن السجدة كانت من الملائكة لجميع بني آدم أي للنشأة الإنسانية، وإن كان آدم ((عليه السلام)) هو القبلة المنصوبة للجسود فهو عليه السلام في أمر كان مثالا يمثل به الإنسانية نائبا مناب أفراد الإنسان على كثرتهم لا مسجودا له من جهة شخصه كالكعبة المجهولة قبلة يتوجه إليها في العبادات ، وتمثل بها ناحية الربوبية.

الثانية : أن خلق آدم عليه السلام كان خلقا للجميع كما يدل عليه أيضاً قوله تعالى : (وبدء خلق الإنسان من طين ثم جعله نسله من سلالة من ماء مهين) [السجدة : ٨]، وقوله (هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة) [غافر : ٦٧].، على ما هو ظاهر الآيتين أن المراد بالخلق من تراب هو الذي كان في آدم عليه السلام(الطباطبائي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، ج٨ ص٢١).

أن أبليس لعنه الله كان من الجن ولكن لكثرة عبادته جعله الله في مصاف الملائكة، وأمر الله تعالى الملائكة بالسجود لمعنى التكامل الذي جعله في آدم عليه السلام، لكن شعور أبليس بالتكبر جعله مطرود من ساحة الرحمة الربانية.

أن قيام آدم وزوجته في الجنة المذكورة ومجيء الشيطان لغواتيهما وقسمه لهما دليل واضح على أن يكون الإنسان في حذر من حبائل الشيطان ومكره وكيده ووسوسته لكونه قام من قبل بغواية أبو البشر وإخراجهم مما كان فيه من نعيم.

لم يكن عصيان آدم لأمر الله عصيان بالمعنى الحقيقي المتعارف عندنا بل هو من باب ترك الأولى، حيث لا يستقيم ذلك الشيء فكيف لله سبحانه وتعالى أن يجعل خليفة في الأرض عاصياً لأمر الله فيجب أن يكون معصوماً من الزلل والخطأ قدوة لغيره.

فيجب أن يكون الإنسان حذراً من الشيطان حذرا من المعصية ولو كانت قليلة، فمنع الله سبحانه وتعالى لآدم من الاقتراب لتلك الشجرة أنما كان أم مولوي وطبيعة آدم كان يشعر بأن كل ما في الكون مجبول على عدم الكذب وكيف للشيطان أن يكذب وهو في فسح الملائكة، فتلك القصة موجه إلينا بني البشر لنحذر من الشيطان وحبائله ومكائده.

الخاتمة :-

ان المستفاد من دراسة وتحليل الآيات المباركات من سورة الأعراف آنفة الذكر هو:

١- أن آدم وحواء لم يكونا في بدء الخلقة في الجنة، أنما خلقا أولاً ثم هديا إلى تلك الجنة.

٢- أن تلك الجنة المشار إليها في سورة الأعراف، لم تكن جنة القيامة بل كانت بستان أخضر جميل من بساتين عالم الدنيا، وكانت فيها جميع أنواع الخيرات والنعم.

٣- صدر أمر إلهي إلى آدم وحواء بوجوب ترك الأكل من شجرة بذاتها، والا يكونا من الظالمين.

٤- أن الشيطان المطرود من ساحة الرحمة الربانية، قد صمم على أن ينتقم لنفسه من آدم وبنيه ما أمكن.

٥- عمد الشيطان إلى الوسوسة إلى آدم وحواء، لكي يأكلا من تلك الشجرة، وهو يعلم أن في ذلك خلاف لأمر الله تعالى.

٦- الشيطان لأجل ان يثبت لآدم عليه السلام في أنه على صدق، قام بالحلق له ولحواء بالإيمان المغلظة.

٧- لم يكن آدم يمتلك تجربة كافية في الحياة للتغلب على حبائل الشيطان.

٨- أن الشجرة جاءت في القرآن على معنيين هما :

أولا : معنى مادي ((شجرة الحنطة)).

ثانيا : معنى معنوي ((شجرة الحسد)).

٩- لقد تناول آدم من شجرة أقل منه مرتبة وهي ((الحنطة))، وأخرى أعلى منه مرتبة وهي شجرة ((الحسد)) ، لذلك ابتلي بذلك المصير المؤلم.

١٠- أن آدم ((عليه السلام)) كان من الأنبياء والنبيين معصوم كما نعرف، وعلى هذا الأساس لم يرتكب ذنباً أو معصية.

١١- أن العصيان المذكور في تلك الآيات، أنما هو ((عصيان نسبي)) وليس ((عصيانا مطلقاً)).

فالعصيان على نوعين هما :

أولا: **المعصية المطلقة** : فهي مخالفة للنهي التحريمي وتجاهلا للامر الإلهي، وهي تشمل كل أنواع ترك الواجب وإتيان الحرام.

ثانيا : **المعصية النسبية** : وهي أن يصدر من شخصية كبيرة عمل غير حرام لا يناسب شأنه ولا يليق بمقامه، وهو يعتبر ذنبا بالنسبة لتلك الشخصية.

مثال على المعصية النسبية : في قصة النبي يعقوب عليه السلام وآله السلام عند جاء فقير صائم ووقف على اب بيته عند غروب الشمس يطلب طعاماً، فغفل يعقوب عن أطعامه، وعلى أثر ذلك أصيب النبي يعقوب (عليه السلام) في محنة فراق ولده يوسف (عليه السلام).

١٢- إن النهي المذكور في الآية عن الشجرة الممنوعة لم يكن نهياً تحريماً، بل كان نهياً من باب ترك الأولى. ولم يكن نهياً أرشادياً لأن النهي الأرشادي ليس تكليفاً ولا ينطوي على تعهد ولا يورث مسؤولية، أي أنه لا يحتاج إلى طلب المغفرة في حين آدم (عليه السلام) يطلب من الله المغفرة.

١٣- يجب علينا نحن أبناء آدم وحواء، أن لا نقترف الذنوب ونتبع خطوات الشيطان لكي لا نفع في المعصية، فإن الشيطان هو العدو الأول لنا، فهو يعمل جاهداً على وقوعنا في الذنوب ومعصية الله، وبالتالي خروجنا من جنة الله، جنة القرب الإلهي والطرد من ساحة القدس الإلهي.

المصادر

من بعد القرآن الكريم.

١- الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (بلا تاريخ)، مفردات ألفاظ القرآن، الناشر نزار مصطفى الباز.

٢- البغوي، الإمام محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود ، (بلا تاريخ)، البغوي، معالم التنزيل، المتوفي ٥١٦هـ، المجلد الثالث حققه وخرج أحاديثه، محمد عبد الله النمر عثمان جمعه خيرية، سلمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض.

٣- الخوارزمي، أبي قاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ)، (بلا تاريخ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف ، دار أحياء التراث العربي .

٤- الشيرزاي، الشيخ ناصر مكارم ،(١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م)، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، العلامة الفقيه المفسر منشورات مؤسسة الإعلامي للمطبوعات، بيروت-لبنان.

٥- صافي، محمود ، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، الجدول في أعراب القرآن وصرفة وبيانه مع فوائد نحوية هامة، دار الرشيد، دمشق-بيروت، ط٣.

٦- الصفار، الدكتور داوود ،(١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، موجز علوم القرآن، منشورات مؤسسة الإعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، ط٣.

٧- الطباطبائي، العلامة السيد محمد حسين ،(١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، الميزان في تفسير القرآن، ، ج٨، منشورات مؤسسة دار المجتبى للمطبوعات، إيران-قم.

٨- الطبرسي، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن ، (بلا تاريخ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار القارئ، دار الكتاب العربي.

٩- الطبري، الأمام أبي جعفر محمد بن جرير الإمام الكبير والمحدث الشهير أطبقت الأمة على تقدمه في التفاسير، (بلا تاريخ)، تفسير الطبري، المعروف، جامع البيان عن تأويل القرآن، ضبط وتعليق، محمود شاكر، دار أحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.

References

After the Holy Quran.

1- Al-Isfahani, Abu Al-Qasim Al-Hussein bin Muhammad, known as Al-Raghib Al-Isfahani, (undated), Vocabulary of the Words of the Qur'an, publisher Nizar Mustafa Al-Baz.

2- Al-Baghawi, Imam Muhyi al-Sunnah Abu Muhammad al-Hussein bin Masoud, (undated), al-Baghawi, Ma'alim al-Tanzeel, who died in 516 AH, the third volume, verified and produced by his hadiths, Muhammad Abdullah al-Nimr Othman, Jumah Khayriyya, Salman Muslim al-Harsh, Dar Taiba for Publishing and Distribution, Riyadh.

3- Al-Khawazirmi, Abu Qasim Mahmoud bin Omar Al-Zamakhshari (467-538 AH), (undated), Al-Kashfah fi Facts of Revelation and the Eyes of Sayings in the Faces of Interpretation, written by Dar Revival of Arab Heritage.

4- Al-Shirzai, Sheikh Nasser Makarem, (1428 AH - 2007 AD), The Optimal in Interpreting the Revealed Book of God, the scholar, jurist and interpreter, publications of the Al-Iami Publications Foundation, Beirut-Lebanon.

5- Safi, Mahmoud, (1416 AH / 1995 AD), the table in the parsing of the Qur'an, its morphology, and its explanation with important grammatical benefits, Dar Al-Rashid, Damascus-Beirut, 3rd edition.

6- Al-Saffar, Dr. Daoud, (1415 AH/1995 AD), Summary of the Sciences of the Qur'an, publications of Al-Ilaami Publications Foundation, Beirut-Lebanon, 3rd edition.

7- Al-Tabatabai, the scholar Sayyid Muhammad Hussein, (1425 AH/2004 AD), Al-Mizan fi Tafsir al-Qur'an, vol. 8, publications of Dar Al-Mujtaba Publications Foundation, Iran-Qom.

8- Al-Tabarsi, Amin Al-Islam Abu Ali Al-Fadl bin Al-Hasan, (undated), Al-Bayan Complex in the Interpretation of the Qur'an, Dar Al-Qari, Dar Al-Kitab Al-Arabi.

9- Al-Tabari, Imam Abu Jaafar Muhammad bin Jarir, the great imam and the famous hadith scholar. The nation embraced his progress in interpretations, (undated), Tafsir Al-Tabari, the well-known collector of statements about the interpretation of the Qur'an, edited and commented, Mahmoud Shaker, Dar Revival of Arab Heritage, Beirut - Lebanon.